خروف العيد

حيوان وديع مطيع ساذج، كتب الله عليه منذ ولد آدم قابيل وهابيل، وابتلى الله إبراهيم بذبح إسماعيل، أن يكون سفك دمه تكفيرًا عن خطيئة خاطئ أو فداء عن حياة هالك. والقرابين من الحيوان الضعيف الأليف شعيرة من شعائر الأديان كله. وكان من هذه القرابين ما يحرق وكان منها ما يذبح. وإذا خفيت عن العقول حكمة الأضحية المحروقة فإن الأضحية المذبوحة نوع من الصدقة دليل على التقوى. ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: 37].

والخاطر الذي استبد بفكري وأنا أسمع مأمأة الخراف ترتفع ليل نهار من الشوارع والبيوت أن ضعف هذا الحيوان هو الذي قضى عليه بهذا المصير ! فلو أن له مخلباً كالأسد أو ناباً كالنمر لأفتى ابن آدم بعلمه الواسع أنه من الأنواع التي لا يجوز شرعاً أن تقدم قرباناً ولا أن تذبح تضحية.

وقانون الطبيعة الذي لا ينسخ ولا يلغى ولا يعطل. في البر والبحر، وفي الغابة أو المدينة، وفي عصر الحجر وعصر الذرة، أن الأقوى يفترس القوس، وأن الأضعف يختل الضعيف.

وبمقتضى هذا القانون الأزلي الأبدي كان في الأرض قطعان من الإنسان، كما كان فيها قطعان من الخرفان، هذه وتلك تؤمن وتسمن لتقدم طعامًا شهيًا على موائد الطغاة، أو قرباناً زكياً على مذابح الآلهة !.

والعاصم الوحيد من مدية الكاهن أو الجزار، أن تكون من ذوات الأنياب والأظفار، لا من ذوات الأصواف والأوبار.

وإياك أن تغتر بكلمات الإنسانية والمدنية والديمقراطية والأخوة والعدالة فإنها الطعم للصائد الماكر إذا صعب عليه أن يغترف السمك بيديه !.

اجتهد دائمًا أن يكون في يدك السكين لا أن يكون في عنقك الحبل !.